عانة وأشهر معالمها بين التراث والمعاصرة

د. وفاء أحمد سعيد البياتي

مركز احياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

الخلاصة:

يعتبر التراث الحضاري المعماري وغيره على اختلاف أنواعه وأشكاله مبعث فخر للأمم وإعتزازها، ودليلاً على عراقتها وأصالتها ،فهو المعبر عن هويتها الوطنية ،وهو صلة الوصل بين الماضي والحاضر. ومن المؤسف والجدير بالأسى والحزن إن هذا التراث وحتى وقت قريب أضحى عرضة للضياع والهدم ، وبالتالي الإندثار والإهمال الذي تسبب في خرابها وتلفها ومن ثم فقدانها وضياعها ،إما عن طريق التسريب والتهريب الى الخارج ،أو إهمالها والتسبب في تلفها وخرابها ،أو هدمها وسحقها وجعلها أنقاضاً ينظر اليها بعيون و قلوب دامعة وباكية وتقطر دماً.

ومن المدن الحافلة بهذا النوع من التراث الحضاري المعماري وغيره مدينة عانة ،التي ضمت المئات من الشواهد الحضارية والمعالم والآثار التي مازال معالم بعضها موجوداً ليومنا هذا ، بالرغم من إغراق تلك المدينة ونقلها الى منطقة اخرى لتكون عانة الجديدة .وما جزيرة القلعة إلا واحدة من المعالم الأثرية التي كان يعتد بها ،والتي اشتهرت عبرالعصور بمنارتها المثمنة والتي شيدت في القرن السادس الهجري، والتي نقلت الى مدينة عانة الجديدة بعد ان تم تقطيعها وإعادة تثبيتها بأيدي مهندسين عراقيين . ولكن أمتدت لها يد الإرهاب و الحقد لكل ماهو عربي ونسفت وفجرت لتصبح كومة من الأنقاض و التراب تستوي مع الأرض وذلك في ٢٠٠٦/٦/١٨م .

توصل البحث الى جملة من الإستنتاجات منها :

١- لقد خضعت عانة للبابليين ردحاً من الزمن ، وتحت حكمها وعلى أرضها أقام الآشوريون معسكرهم السابع والعشرين ،وعليها تناحرت جيوش الفرس والروم قبل الإسلام لأهمية موقعها وحصانتها ، وجمالها الخارق ، وكم استعصى عليهم احتلالها أو السيطرة عليها إلا بالحيل أو بطول حصار.

2- جزيرة القلعة هي أحدى جزر مدينة عانة وأقدمها ، تضمنت العديد من الآثار كالأبراج و القصورو المقبرة الأثرية والمنارة الأثرية التي نقلت من موقعها بأياد عراقية و مهندسين عراقيين الى مقر آخر لها في عانة الجديدة إلا انها نسفت بأيد آثمة .

٣ . ان عانة لم تكن فقط ملتقى للحضارات الشهيرة فحسب ،وانما للإديان السماوية ايضاً. فقد انتشرت فيها اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهناك آثار للصوامع والأديرة والكنائس وحتى الجوامع قائمة لحد الآن وهذا ماجاء على لسان وكتابات حتى الرحالة الأوربيين.

المقدمة :

إن البحث في صيانة وحماية وترميم المعالم التاريخية في الوطن العربي والعراق(تحديداً)عملية شاقة وطويلة ومتشعبة نظراً لكثرة تلك المعالم وتطورالأساليب والمناهج المتعلقة بالموضوع، وإذا أردنا الإحاطة بكافة المعالم مع تفصيلاتها وبيان مشكلاتها فإن الأمر يحتاج إلى فرق عمل وآثاريين متخصصين ،ويحتاج إلى وقت طويل. و يختلف العمل في صيانة وترميم المباني التاريخية في الوطن العربي من دولة لأخرى وفقاً لقدرتها المالية والفنية والثقافية ونظرتها إلى التراث بكافة جوانبه، فهناك من يرى ضرورة صيانة ذلك التراث تعبيراً عن الاحترام للماضي والحرص على مواصلة الحوار معه لأن في ذلك ربطاً للماضي بالحاضر وتطلعاً إلى مستقبل زاهر مزدهر ومتطور، وهناك من ينظر إلى التراث نظرة سلبية ويرى فيه دلالةً على تخلّف الماضي وضرورة التخلّص منه، وقد سبب هذا في تدمير الكثير من المعالم التاريخية، في العديد من البلدان العربية ومنها العراق. فقد هُدمت بعض المباني الأثريّة أو التراثية لاستخدام حجارتها في بناء جديد، و هُدمت الأسوار لاستخدام حجارتها في بناء منازل لهم، وقد نُقل عن البعض أن حجارة مدينة بابل الأثرية قد قُلعت واستخدمت في بناء تلك المنازل وهُدمت الأسوار في المدينة القديمة بحثاً عن الآثار التي بيعت فيما بعد بأثمان بخسة او سرقت وهربت الى خارج الحدود، وهذا كله بالتزامن مع إقامة معسكر للإحتلال الأمريكي في تلك الرقعة الجغرافية كان الغرض الأساسي منه البحث عن وسرقة الآثار الموجودة المكتشفة و غيرالمكتشفة في تلك الرقعة الجغرافية. ويمكن القول إن الصراع

بين مؤيدي التراث المعماري والفني ومعارضيه قد خلّف كثيراً من الضحايا لا زلنا نتحسّر عليها بسبب ضياع الكثير من المعالم التاريخية التراثية في تلك المعركة إلى غير رجعة.

لذلك فإننا في هذا البحث سنسعى لتناول أحدى المدن العراقية التابعة لمحافظة الأنبار ،ألا وهي مدينة "عانة" التي كانت تزخر بالمئات من المعالم الأثرية في كل ارجائها (قبل أن يصار الى إغراقها وكما سنأتي على ذكره في الصفحات اللاحقة)، فقد كانت فيها أحدى وعشرين جزيرة متفاوتة في المساحة والأهمية ، لبعضها اسماء معروفة غير ان معظمها غير مأهول بسبب صغر مساحتها التي قد لايتجاوز طول بعضها أمتار قليلة ، ومهما يكن من أمر مساحتها المتفاوتة فقد كانت معظمها ولغاية اغراق المدينة القديمة مزارع وبساتين مكتظة بالنخيل واشجار التين والاعناب ومختلف انواع الفواكه والحمضيات. أما أكبر تلك الجزر وأكثرها أهمية فقد كانت جزيرة القلعة والمعروفة قديماً بجزيرة " لباد" والتي سنتناولها وما كتب عنها وموقعها اليوم . ولكن قبل ذلك سنتناول معنى التراث والمقصود به.

ماالمقصود بالتراث :

هناك عدة تعاريف للتراث سنتناولها كالآتي:

- التراث في اللغة : مشتق من الإرث فيقول ابن منظور في مادة (ورث) : الإرث هو الميراث وهو الأصل ،ويقال الإرث في الحسب والِورث في المال .[١]
- وعن إبن الإعرابي : الِورْثُ و الوَرْثُ والإرثُ و الوِراث و الإرَاثُ و التُراثُ ، واحدٌ ويقال توارثناه ، أي وَرَثَهُ بعضنا عن بعضٍ قِدَمَاً .[٢]

والملاحظ إن الباحثين في اللغة من اللغويين لم يتعرضوا لبيان لفظة التراث مع العلم بأنها وردت في القرآن مرة واحدة في سياق قوله تعالى : " كلا بل لاتُكرمُون اليَتِيم *ولا تحاضون على طعام المسكين * وَتَأكُلون التُراثَ أكلاً لماً * و تُحِبونَ المَالَ حباً جماً" –(سورة الفجر الآية ١٧–٢٠). واكتفوا ببيان مصدر الكلمة بحيث يصير التراث مرادفاً لكلمة الميراث وكلاهما من مصدر إرث .

أما التعريف كإصطلاح: فهو حديث نوعاً ما في ثقافتنا ، فهذه اللفظة قد تشير الى النتاج الحضاري للأمة العربية الإسلامية خلال عمرها الممتد عبر قرون عديدة خلت . فعلى سبيل المثال لفظة التراث العلمي التي تقال لإسهامات العلماء العرب في فروع العلم .

ومع أن كلمة التراث عربيةٌ فصيحةٌ، إلاَّ أنها غير تراثية! وأصلها في اللغة واضح بيِّن، فهي من مادة (ورث) وهي مادة تشير إلى معنى ليس فيه التباس. إلاَّ أن القدماء لم يستعملوها بالمعنى الذي يقصده المعاصرون، كمرادف للكلمة الإنجليزية Heritage.

ولم يستخدم قدماؤنا كلمة تراث خلال تاريخ التراث العربي، ولا نجد في الكتابات التي بدأت منذ عصر التدوين حتى القرن التاسع عشر الميلادي، كلمة (التراث) مستخدمةً، ولا مُشاراً إليها بالمعنى الذي نستخدمه الآن. ولكنَّ المؤكد أنها طفرت بشكل مفاجئ جداً، وسرعان ما استُعملت على نطاق واسع، حتى إن نزاز قباني له قصيدة مشهورة يقول فيها لحبيبته: أنتِ التراث الذي يتشكَّل في باطن الأرض منذ ألوف السنين.. وهو هنا يستخدم كلمة التراث، بأقصى قدرة للمجاز اللغوي، حتى يجعل من حبيبته حقيقة أزلية أبدية.

ولم يقتصر هذا الاستخدام المجازي لكلمة (تراث) على الشعر العربي في القرن العشرين، وإنما تعدى ذلك إلى استخدامات غير منضبطة، أدت بنا إلى أزمة حقيقية في الوعي بالظاهرة التراثية، حيث اشتُق من أصل اللفظة وأضيف إليها إضافات كثيرة جداً، حتى كاد الأمر يخرج عن أي إحكام للمعنى. فهناك التراث الشفاهي، والتراث المكتوب، والتراث المعماري، والتراث المادي الملموس، والتراث غير الملموس.. إلخ. وبذلك أصبحت الكلمة متعددة الاستعمال. ويختلف الباحثون في التراث حول تحديد الحقبة الزمنية التي سيقال عنها بأنها تراث، فيذهب البعض الى إن التراث يقف عند آخر القرن العاشر الهجري ،والبعض الآخر يرى إن التراث هو كل ما مضى عليه خمسون عاماً أو أكثر (نصف قرن) . ولما كان التراث متعلقاً بالماضي ،وكان الماضي لحظة تراكم معرفي،فإن التراث هو نتاج الماضي عموماً وكل ماله قيمة حضارية بغض النظر عن المدة التي مرت على إنقضائه .

ويقترح الجابري [٣] تعريفاً عاماً للتراث يشمل التراث المعنوي كفكر وسلوك ، والتراث المادي ، مثل الآثار والتراث القومي ، أي ما يَحضُر في الإنسان المعاصر من ماضيه

،بالإضافة الى التراث الإنساني أي ما يحضر في الإنسان من ماضي غيره . ويقول هذا التعريف " التراث هو كل ماهو حاضر فينا أو معنا من الماضي ،سواء ماضينا أم ماضي غيرنا ، سواء القريب منه أم البعيد ".

ويلفت الجابري الإنتباه الى كيفية حضور الماضي في الحاضر ، والى هذا الكم الهائل من مقومات الثقافة الإسلامية المرتبطة بالماضي على نحو وثيق " إن التراث حي في النفوس وحاضر في الوعي، يفعل بقوة في الحاضر ، وتتم العودة اليه في كل المناسبات .لم يعد يعني ماكَانَ فقط إنما ماكان يجب أن يكون على وجه التحديد " . كما يشير الى إن الخطاب العربي الحديث و المعاصر وبخاصة الخطاب النهضوي ، قد دمج ضمن مفهوم التراث ماهو معرفي بما هو أيديولوجي ووجداني. (٤)

أهمية التراث : لما كان التراث عبارة عن التراكم الثقافي و الحضاري للحاضر و المستقبل فأنه يجعله من الأهمية ليكون الأساس الذي يقوم عليه أي مجتمع وذلك إنه طبقاً لقيمة هذا التراث وكيفية التعامل معه يكون للمجتمع مكانته في الحضارة الإنسانية . وبقدر ما قام به التراث في الماضي من دور في الإسهامات الإنسانية الحضارية و التي مثلت محطات التأريخ البشري فأنه سيحقق نقلة للإنسانية من حقبة تأريخية الى أخرى وتحقيق مكاسب إنسانية ستظل قيمتها عالقة به لأنه يحققها ويكون قابلاً للإفادة و الإستفادة منها ، وإذا كان العكس فتكون قيمته قد أنتهت بإنتهاء الماضي الذي وجدَ وكان فيه.

هنا تكمن خطورة الموضوع فقد يكون البعض لايرضى بغير التراث بديلاً ويمجده ويعظمه ،وقد يكون العكس ، إذ قد ينظر اليه (التراث) كمصدر من مصادر الإعاقة للتقدم والتطور فيدعوالى التنكر له والإبتعاد عنه لإنه جزء من الماضي وتحديداً الماضي البعيد . إن كلا الرأيين الصادرين يحمل نظرة خاطئة ويحكم حكماً غير صائب . فالأول جَمَد من الحاضر و المستقبل ودعا الى الوقوف وكما يقال(على الأطلال) والثاني يدعو الى هجر التراث وعَدَهُ جزء من الماضي ويدعو الى ضرورة الإقتداء بالحضارة الغربية والإندماج معها والإنخراط فيها وهذا

طبعاً لايفيد وخصوصاً في بلداننا العربية والإسلامية ، وهذا الأخير هو ماتم تسميته بالعولمة والتي لايتسع المجال في بحثنا هذا لبيان تعريفها وماهيتها، وكتب عنها الكثير..

وهنا كان لابد لنا من التعامل مع التراث بدون أن نكون مع الطرف الأول أو الطرف الثاني المذكورين سابقاً ، أي يتوجب أن نكون كالآتي : [٥]

١. الأخذ بنظرالإعتبار الأساليب العلمية والتراثية المناسبة والعمل على تطويرها وتهذيبها بطريقة ملائمة

٢. الإنتباه لما يتعلق بالقيم الإجتماعية والعادات والتقاليد وكل الجوانب الإنسانية والعلمية والأدبية والفنية وحتى المعمارية والعمل على تطويرها دون تعريضها لفقدان روحها و كينونتها.

٣. ضرورة الإنتباه للشخصية العربية الإسلامية ودون المساس بما يجرحها أو يعرض حرمتها للإنتهاك وبما يحافظ على خصوصيتها كما الآخر.

مفهوم التراث : لفظ التراث يشير الى ماهو مشترك بين العرب (بصورة خاصة) أي التركة الفكرية و الروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم جميعاً خلفاً لسلف . فإذا كان الإرث او الميراث هو عنوان اختفاء الأب وحلول الأبن محله فأن التراث قد أصبح بالنسبة لحاضرنا المعاصر عنواناً على حضور الأب في الأبن ، حضور السلف في الخلف ، حضور الماضي في الحاضر. ذلك هو المضمون الحي في النفوس الحاضر في الوعي ، الذي يعطي للثقافة العربية الإسلامية عندما ينظر اليها بوصفها مقوماً من مقومات الذات العربية وعنصراً اساسياً و رئيسياً من عناصر وحدتها. ومن هنا ينظر الى التراث لاعلى انه بقايا ثقافة الماضي ، بل على انه (تمام) هذه الثقافة وكليتها إنه العقيدة والشريعة، اللغة والأدب ، والعقل والذهن ، والحنين والتطلعات .

ولقد اتفق العديد من الكتاب والمؤرخين على ان التراث هو من انتاج فترة زمنية تقع في الماضي وتفصلها عن الحاضر مسافة زمنية ما تشكلت خلالها هوة حضارية فصلتنا ومازالت تفصلنا عن الحضارة المعاصرة ، الحضارة الغربية الحديثة.

ولايضاح مفهوم التراث بصورة اوسع وجب التطرق الى مكوناته بأوسع معانيها من منظور تأثيرها المحتمل على الفكر . ومن أهم تلك المكونات : [٦]

١. التراث المعنوي : ويشمل المعتقدات كالأديان والأساطير،الخرافة ،الحكايات الشعبية ، الفنون كالرقص والموسيقى ، والعلوم ، المؤلفات ، طرق ومناهج التفكير وغيرها بالإضافة الى اللغة و العادات والأعراف السلوكية ... الخ.
٢. التراث المادي : ويشمل الآثار المادية من تماثيل ودور ، سدود ، أدوات ،الآت و أجهزة ، أموال و اوعية المؤلفات.
٣. التراث الجيني : ونعني به الجينات (الموروثات) التي يورثها الآباء للأبناء وتشكل عاملاً اساسياً و احياناً محدداً في تحديد ليس فقط الصفات و الملامح الخارجية للورثة وإنما ايضاً التكوين النفسي و العصبي ، الذهني والحسي وغير ذلك مما يساهم في تشكيل الأساس البيولوجي / المادي للإدراك العقلي عند الورثة.
٤. التراث البيئي : مدلول البيئة هنا يشمل البيئة الطبيعية و البيئة الإجتماعية . وصحيح ان أصل البيئة الطبيعية ليس من خلق البشر ولكن ، كما هو واضح اليوم بجلاء اكثر مما مضى ،كل جيل يُحدِث في البيئة أثراً ما وتتراكم الآثار من جيل الى جيل محدثة تغييرات طفيفة أو كبيرة وأحياناً خطيرة على البيئة الطبيعية مما يعني ان البيئة التي يرثها الأحفاد عن أسلافهم ليس هي ذات البيئة الطبيعية الأصلية وانما هي البيئة التي شكلها الآباء . والبيئة الإجتماعية تضم البيئة الاقتصادية أو المعاشية و البيئة السياسية.

التراث العربي : كمصطلح يمكن تعريفه : كل أثر قديم وصل إلينا من الأجداد ، وتنسحب لفظة التراث على الأحجار والأخشاب و النصب و الألواح... وعلى كل مايتصل بنتاج المفكرين العرب منذ أن عرفوا الحضارة حتى القرن الماضي ، فالتراث حلقة واحدة تصل القديم بالحديث وهذه المواد كلها تراث . من عُدَت كتب العلوم الإنسانية كاللغة و الأدب والفقه والشعر والتأريخ والقانون والإدارة جزء من التراث وليس كله.[٧]

والتراث العربي غني بمعطياته الحضارية البعيدة المرامي ، استفاد منه العالم في مختلف الأزمان وتحدى كل الكوارث والمصاعب التي ألمت به ، كما إن تأريخ حضارتنا العربية ممتد الى جذور التاريخ فلها سماتها المميزة وهويتها الخاصة بها ، وقد عنيت عبر مسيرتها الطويلة بالإنسان (طفلاً، إمرأة ،شيخاً وشاباً) وعنيت بالطبيعة والأرض ، الشجرة والمسكن ، عنيت بكل ذلك لتشكل بمجمل عطائها الوطن الذي عبرت عنه بكل أنواعها والوطن هنا يعني كل ذلك معاً.

بدأ الإهتمام في ثقافتنا المعاصرة يأخذ اهتماماً متزايداً ومنحى إيجابي لابد من الإهتمام به و التعرف عليه بصورة مكثفة بعد بدء العديد من المطابع بإصدار وطبع أمهات الكتب التراثية،علماً إن التراث كان قبل ذلك متصلاً من خلال جهود الأجيال المتعاقبة من علماء الأمة ،لكن استمرار صدور وطبع الكتب التراثية مهد الى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب المعرفي الذي صاحبه الاهتمام بنشر البحوث التراثية المختلفة الجوانب من العمارة والبناء والتشكيلات والتصاميم الخاصة بالبناء من دور وغيرها في الوطن العربي، وتنافس دورالنشر في طبع وإصداركتب التراث تلك بالإضافة الى معاهد علمية عاملة كمعهد المخطوطات العربية و معهد حلب لتاريخ العلوم العربية ومجموعة مراكز متخصصة في الجامعات (كمركز إحياء التراث العلمي العربي في جامعة بغداد) وكليات الآثار والوزارات المختصة بهذه الآثار والتشكيلات الواسعة التي تهتم بالتراث و الآثار وتعمل على تحقيقه ونشره و المحافظة على المتبقي منه وصيانته.

قضاء عانة :

يرجع تأريخ مدينة عانة (عنه) الى عهد موغل في القدم ،فلم يعرف تأريخ تأسيسها بعد وقد أختلقت الروايات حول تسميتها ومعرفة مؤسسها .وهي الآن مركز قضاء في محافظة الأنبار، ونحن نتحدث عن هذا القضاء و المقصود به المدينة القديمة والتي أصبحت تحت الماء. وهي مدينة تأريخية من أقدم المدن في العالم ،أستمرت مأهولة بالسكان منذ الآف السنين ، وهي

مدينة ليست كباقي المدن لأنها تنطوي على معالم أثرية وعناصر سياحية طبيعية في الإثارة والغرابة والجمال .

لم تختفي هذه المدينة بسبب الزلازل أو البراكين أوالطوفان كما مثبت في كتب التاريخ ، مثلما حصل للعديد من المدن التي أختفت للأسباب اعلاه (فقد ظلت عامرة نابضة بالحياة نحو أربعةآلاف سنة) ، وإنما أختفت بعد ان غمرتها مياه البحيرة الكبرى التي تكونت كنتيجة طبيعية لإقامة سد حديثة الإروائي عام ١٩٨٧. وتقع مدينة عانه العراقية على ضفة نهر الفرات وتبعد نحو ٢١٢ كيلومترا غرب مدينة الرمادي، يبلغ عدد سكانها (٣٧,٢١١) نسمة حسب منظمة الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣م، وتعد من المدن العراقية القديمة وترتقي أخبارها إلى زمن الدولة الاشورية، وتعتبر عانه من أطول المدن القديمة فهي تمتد على ضفة الفرات اليمنى مسافة عشرين كيلومتراً، ومن خصوصيات الزراعة بها أنها تتم بما يدعونه (حوائج) وإحداها (حويجة أو حويقة) وهي تعني الأرض التي يحيق بها الماء كالجزيرة ويطبق ذلك في دورهم التي تكتنفها الأشجار المسقية من ماء الفرات.

أسم عانة في اللغة والحضارات :

أسم عانة أو (عنة) هذه البلدة الشهيرة على الضفة الغربية من نهر الفرات ، يرجع أصله الى صيغة قديمة أو مستوطن مهم ورد أسمه في المصادر البابلية و الآشورية بهيئة عاناة(A–Na–At) ، وبصيغة أقدم في العهد البابلي القديم ٢٠٠٠–١٥٠٠ ق.م. ، هي (خانة) و(خانات). وأنها كانت مركز أقليم أو دويلة في الفرات الأوسط عرفت بأسم (خاني) كانت رقعتها تمتد من ضفاف الفرات الى الخابور ، وعرف هذا الأقليم في المصادرالآشورية بأسم(سوخى) ودخل تحت حكم الملك البابلي الشهير (حمورابي –١٧٩٢–١٧٥٠ق.م.) حينما فتح في عام حكمه الخامس والثلاثين جميع المدن الواقعة على الفرات الأوسط والأعلى .[٨]

أما الأستاذ طه باقر [٩] فيقول :لايعلم بوجه التأكيد تأصيل أسم عانة ومعناه ولعل له صلة بأسم آلهة عبدها العرب القدماء (الساميون الغربيون) في بلاد الشام بأسم عانة أو(أناتا) وكانت

قرينة الإله السامي الغربي (أيل).وذكرت عانة في المصادرالكلاسيكية (اليونانية والرومانية) بصيغة (أنانا) او(أناتو)، وذكرت كذلك في المصادر العربية التي أختلفت في معنى اسمها، فمنهم من قال بأنها تعني قطيع الحمر الوحشية التي عثر على هياكل الكثير منها في التلال المجاورة.

أما المؤلف ألوا مسيل[١٠] فقد ذكر ان اسمها كان (أنات) في زمن حكم توكولتي اينورتا الثاني(٨٨٩-٨٨٤ق.م.)، ودعاها أريان عندما كانت مستوطنة بـ(أنثا) وبـ(تيروس). وكان حصن (أنثا) يقع على جزيرة.

وسميت المدينة بـ(عانات) ، وكان ذلك بعد أن تنصر معن الذي كان قائداً تحت أمرة الملك الساساني سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) ، ذهب الى عانات حيث بنى لنفسه على ضفاف الفرات على بعد ميلين من عانات معتكفاً عاش فيه سبع سنين ،وكان يشفي المرضى بنجاح كبير بحيث انتشرت شهرته في جميع أرجاء البلاد. [١١]

ويقول الأندلسي [١٢] في كتابه معجم ماأستعجم من أسماء البلاد والمواضع :" إن عانات جمع لكلمة عانة ،وإن الخمور الطيبة تنسب اليها ،وإنها تشمل مع هيت مدينتين مضافتين الى طساسج الأنبار".

ولقد ورد الأسم بوضوح تام فيما يعرف برسائل مدينة (ماري) في الحقبة الزمنية التي تعود الى عهد الملك زمري – لم (Zimri–Lim ١٧٨٢-١٧٥٩ ق.م.) والتي من المحتمل أن تكون هذه أقدم إشارة الى هذه المدينة في التأريخ ولكن ليس تحت أسم (آنات) او(عانات) كماوذكرت وإنما تحت أسم (هانات)،وإن هناك من يرى أن هانات هي ليست في واقع الأمر (عانات) التي اغرقت وإنما منطقة أو مدينة تقع الى الشمال منها .وعلى الرغم من أنه لم ترد عن هذه المدينة في الوثائق المسمارية سوى معلومات قليلة نسبياً ،منها على سبيل المثال أن هانات قد هوجمت من قبل أعدائها مثلاً ،أو أن يرد إسم المدينة ضمن أسماء المدن أو المناطق التي كانت تابعة لهذا الملك او ذاك. [١٣]

ولقد ورد اللفظ نفسه تقريباً في مدونات العصر البابلي القديم (١٨٥٤-١٥٩٥ق.م.)، حيث جاءت بأكثر من صيغة واحدة كلها متقاربة وهي (هانا- hana) وهاناة (ha-na-at) . فمن المعروف ان الآراميين كانوا يقرأون حرف الألف ياء. ومن ذلك على سبيل المثال أن أسم الإله (أدد) كانوا يقرؤنه (هدد). (١٤)

ومن النصوص التي ورد فيها أسم (عانة) ،هاناة ha-na-at طرافة ماجاء في النصوص المسمارية الخاصة بالعهد البابلي القديم ترتبط بأحداث تَذكر ان حاكم اقليم سوخي من قبل البابليين يدعى سن – إقشام/Sin-iqisham .وفي المدونات الآشورية ورد أسم المدينة بصيغة (عانات) a-na-at وكذلك بصيغة (عاناتي) a-na-ti . (١٥)

كما إن عانة في العصر الآشوري الوسيط دعيت بأسم سوخي أو (خانو) التي امتدت حدودها الى ضفاف نهري الخابور أو القسم الأعلى من الفرات الأوسط في الأقل. (١٦)

موقع مدينة عانة :

لم تكن عانة عاصمة لدولة ولكن كانت مركزاً مهماً تنازعت عليه دول كثيرة قبل التاريخ وبعده . وتكمن أهمية هذه المدينة في موقعها ...جمالها وحصانتها وطبيعة تكوينها . فتقع هذه المدينة على بعد ٣١٨كم الى الشمال من مدينة بغداد ،مع انحراف يسير نحو الشمال الغربي ،أي انها لاتبتعد عن الحدود الحالية للإقليم السوري الا بنحو تسعين كيلومتراً. ولقد أحتلت عانة حيزاً أو شريطاَ ضيقاً من الأرض الزراعية الخصبة الذي لايزيد عرضه في أقصى اتساع له عن مائتين وخمسين متراً . يحدها من الجهة الشرقية نهر الفرات وتحدها من الجهة الغربية هضبة مرتفعة قوامها سلسلة متجاورة من تلول متموجة جرداء في موسمي الصيف والخريف تتميز بنتوءات صخرية حادة ،ولهذا السبب نجد ان المدينة تمتد طولاً مع جبهة النهر في شريط ضيق عدة كيلومترات وهو لايختلف كثيراً من حيث شكله وامتداده عن الشريط من الأرض الذي تحتله مدينة (حديثة) الواقعة على مسافة ثلاثين كيلومتراً الى الجنوب من مدينة عانة.

إن مقدار امتداد عانة الطولي يساير تماماً امتداد الضفة الغربية لنهر الفرات الذي كان يتخذ هناك شكل نصف دائرة تقريباً ،أما عن مقدار ذلك الإمتداد فأن فيه اختلافاً بين المختصين ،فلقد ورد في بعض المصادر الحديثة إن امتداد المدينة كان سبعة أميال ،وفي بعضها سبعة كيلومترات ،وكتب المهندس البريطاني جسني (Gisny) إن امتدادها أربعة أميال ، في حين تذكر بعض المصادر الحديثة إن طول المدينة حوالي أحد عشركيلومتراً بما في ذلك الأراضي الزراعية الملحقة بها. (١٧)

عانة عبر العصور القديمة

لايعلم بالتحديد متى شيدت مدينة عانة ،على الرغم من إن الإشارات التي سبق ان ذكرت وردت في رسائل مدينة ماري وإن اقدم ذكر لها قد ورد من عهد ملك مدينة زمري-لم (١٧٨٢-١٧٥٩ ق.م.) الذي وضع حداً لدولته الملك البابلي حمورابي في سنة ١٧٥٩ قبل الميلاد. وما يؤكد ذلك رسالة مدونة على رقم طيني من العصر البابلي القديم تعود إما الى عهد حمورابي خامس ملوك تلك السلالة او من عهد أحد من خلفائه. وتطرقت الرسالةالى حدث وقع في منطقة سوخي التي كان مركزها مدينة عانة عندما كان سن-إقيشام Sin-iqisham حاكماً عليها . وجاء في تلك الرسالة ان مؤامرة على الدولة قد حاكها بعض رجالات الإقليم من ضباط الجيش كان منهم زمري العاني Hanata-Zimri إذا اخذ بنظر الإعتبار ان هانات هي مدينة عانة نفسها. (١٨)

ومهما يكن من أمر فأن ارتباط المدينة بإسمها الحالي أي بصيغتها الأخيرة عانة Anat بات مؤكداً وبشكل أكثر وضوحاً في العهود التي أعقبت العصر البابلي القديم ، ولاسيما ظهور الأسم في المصادر او النصوص المسمارية الخاصة بالعصر الآشوري الوسيط وبالتحديد منذ عهد الملك تيجلات بيلسر الأول Tiglath-Pileser 1 ١١١٥ -١٠٧٧ق.م. الذي يعد عهده واحداً من أطول عهود ملوك الإمبراطورية الآشورية في عهدها الوسيط. (١٩)

وجاءفي عدد من النصوص الآشورية التي كشفت عنها تنقيبات الهيئة العامة للآثار في الثمانينيات من القرن العشرين في موقع مدينة (سورا) التي تقع قريباً من الضفة الغربية من نهرالفرات الى الجنوب من مدينة عانة ،وكذلك في نقوش كتابية آشورية أخرى كشفت عنها التنقيبات في جزيرة عانة نفسها.

كماورد أسم مدينة عانة في نقوش كتابية ترتقي في الزمن الى سنة ١٣٢ ميلادية وصلت الينا من مدينة (تدمر) العربية، وهناك نص آخر يرد فيه اسم عانة من تلك المدينة نفسها يرتقي الى مابعد سنة ١٨٨ ميلادية وقد يرتقي هذا النص الى أواخر القرن الثاني أو اوائل القرن الثالث الميلادي. (٢٠)

أما من أجمل ماقيل عن عانة في المصادر فهو : إن عانات قد أشارت اليها بعض المصادر على انها آلهة تعبد ، وإن اسمها بالكتابة السومرية (أنو) وتعني إله السماء ،ومر ذكرها بكثرة في المصادر اليونانية والرومانية بصيغة أناتو وأناتا.وجاء في المدونات والأساطير القديمة أن (عانات) ابنة الإله العظيم (إيل-EL) وأخت (بعل) إله العواصف والعاصير...وان لعانات صفات مشتركة مع الآلهة البابلية عشتار، ولها صفات المرأة العاطفية المتكاملة، إلا انها في الوقت نفسه مقاتلة شجاعة من الطراز الأول، وعطشى للدماء . ومع ان علاقة عانات بأبيها (إيل) إله السماء عند الكنعانيين لم تكن على مايرام ، غير أنها كانت على علاقة حميمة جداً مع اخيها (بعل) ، تقف الى جانبه وتحارب من أجله ، وعندما قتله الإله (موت) ، بحثت عانات عن قاتل اخيها في كل مكان الى أن حظيت به في أعالي الجبال فقتلته شر قتلة انتقاماً لأخيها. وجاء في بعض النصوص الشعرية المكتشفة في (أغاريت) السورية عام ١٩٥٠ عن (عانات) وهي تصف قتلها لـ(موت): "قبضت (عانات) على (موت) الإبن الإلهي ..فنسفته بمنسف..وشوته بالنار..وكسَرته بالطاحونة..وذَرَت لحمه في الحقل" . (٢١)

عانة ماقبل الإسلام وبعده.

هناك اشارات لمدينة عانة في كتابات بعض مؤرخي الكنيسة في زمن ماقبل الإسلام ، إذ يذكرون بأن أحد قادة الجيش في عهد الملك الساساني (سابور الثاني ٣٠٩-٣٧٩م) كان يعرف بأسم معن ، والذي كان يتضح من أسمه انه عربي معتنق للمسيحية وأقام العديد من الأديرة والكنائس في منطقة سنجار ، ثم سار الى عانات حيث شيد لنفسه على ضفة الفرات ديراً على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف تقريباً من المدينة وأنزوى فيه لمدة سبع سنوات عالج فيه المرضى وشاعت شهرته في عموم بلاد الرافدين وبلاد الشام. وقد كان المستشرق موسيل شاهد عيان على بقايا هذا الدير في عانة وفي موقع يعرف بخرائب (دير الملوية) وكان ذلك في العام ١٩١٢م ، وذكر انه يقع بالقرب من قرية صغيرة مهجورة تعرف (بالحابولية). [٢٢]

وقد انتشرت الديانة المسيحية في عانة منذ عصر مبكر جداً وربما منذ القرن الثاني الميلادي أو قبل نهاية القرن الأول . وعند ظهور الإسلام كان أغلب سكان عانة من عرب (بني تغلب) الذين عرفوا في ذلك الوقت بـ(السادة) وكانوا يتخذون من المسيحية على المذهب (اليعقوبي) ديناً لهم.[٢٣] كما وتذكرالمصادرالتاريخية للكنيسة إن المفريان (ماروثا) الرئيس الأعلى لليعاقبة في بلاد الرافدين في النصف الأول منالقرن السابع الميلادي قد جعل من مدينة عانة مقراً لأبرشية يعقوبية دائمة يترأسها كاهن بمرتبة مطران.ومن المعروف ان كرسي المفريانية ،والذي يعرف هذا المركز اليوم بـ(البطرياكية) والذي هو مشتق من الكلمة الأوربية (بطريك) ، والذي كان آنذاك في مدينة تكريت التي باتت القاعدة الكبرى للمذهب اليعقوبي في بلاد الرافدين قبيل ظهور الإسلام. [٢٤]

وتذكر المصادر ان مدينة عانة قد فتحت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بحدود عام ٢٢هـ على يد عياض بن غنم ،وقد كانت تدين بالنصرانية ،وكان جل اهلها من عرب تغلب، فمنهم من دخل الإسلام ومنهم من بقي على دين النصرانية.وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (رضي الله عنه) قوله عن فتوحات خالد بن الوليد (رضي الله عنه) :" وقد مر ببلاد عانة،فخرج اليها بطريقها وطلب الصلح، فصالحه وأعطاه ما أراد على ألا يهدم لهم بيعة ولاكنيسة ،وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أية ساعة شاؤوا من ليل أو نهار إلا

في أوقات الصلوات ،وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم ،واشترط عليهم أن يضيفوا المسلمين ثلاثة أيام ويبذرقوهم (أي يحرسوهم) ،وكتب بينه وبينهم الصلح ". [٢٥]

وهكذا أمن المحررون العرب المسلمون أهل عانة على أنفسهم و أموالهم وكذلك على بيعهم وكنائسهم كما تشهد على ذلك المدونات الإسلامية .وكانت عانة من أوائل البلدان التي أرتفع فيها صوت (الله أكبر) فغمرت قلوب ابنائها بالإسلام وترك للمسيحيين الإختيار.

وظلت عانة مدينة تتميز بشيء غير يسير من الأهمية في العصورالتي تلت الفتوحات الإسلامية وتحديداً في العصر الأموي إذ نالت عند خلفائهم حظوة كبيرة وخصوصاً من اوائل الخلفاء من بني أمية ، ليس لموقعها الجغرافي (من حيث احاطتها بمياه نهر الفرات من كل جانب)فحسب، بل ووقوعها على طريق التجارة الرئيس الذي يربط بلاد الجزيرة والعراق وبلادالشام وغيرها من الأقاليم الغربية وذلك حتى سنة ١٩٢٣هـ حينما أهمل ذلك الطريق ليتخذ من الخط الصحراوي الحالي (طريق الرطبة وطريق طريبيل الدوليين) بديلاً عنه .

ظلت المدينة تستقبل الجيوش وتودعها ،وتستقبل القوافل والزوار ، وتنتقل من عصر حكم الى آخر من الأموي الى العباسي الى.... وكانت في تلك الأزمنة شأنها في ذلك شأن المدن والمناطق الأخرى في العراق ، فتعرضت الى تغيير الحكام ومن سيطر عليها وحكمها من فترة لأخرى ، وكثيرةهي الأحداث التي أرتبطت ومرت بها المدينة في تلك الحقب الزمنية المتتالية.

ولايخفى عن البال إن كل زمن أو عصر أو حكم قد ترك أثراً أو آثاراً أشير اليها في ذلك الوقت في تلك المدينة وغيرها من المدن سواء المحيطة بها والقريبة منها ، او التي كانت مقراً وعلى مر العصور والحكام ، وان كل أثر له قصة او حكاية كانت سبباً في انشائه و بنيانه. وكانت عانة من المدن التي انتشرت فيها الآثار انتشاراً كبيراً وفي مختلف نواحيها واستمرت الآثار المكتشفة فيها والتي أغرقت والتي بحث عنها ووجدت من جديد ، وقدلايوجد فيها مكان او شبر من الأرض دون ان يكون له أثراً ما او علامة ودليل على ماكان في تلك الرقعة الجغرافية من حكاية او حدث ما .

أبرز معالم عانة الأثرية :

(جزيرة القلعة)

سبق لنا في صفحات سابقة أن أشرنا الى ان هناك عدة جزيرات صغيرة تعود لعانة واقعة في وسط الفرات وهي عبارة عن جنان من الخضار الباهر للاشجار والمزروعات. وإحدى أكبر هذه الجزر جزيرة القلعة تلك الجزيرة التي أهدت التاريخ عبر سنين عمرها الطويلة صفحات ناصعة عريقة خالدة لمدينة عانات التي خلدت ذكراها في صفحات كتب التاريخ ،وتركت لنا آثاراً عبرت عن حضارة أصيلة ومجد عريق.

كان طول جزيرة القلعة والمسماة أحياناً بجزيرة لباد كيلومتراً واحداً تقريباً قبل غرقها وربما كانت أطول من ذلك في أزمنة مضت . أما عرضها فيتراوح مابين ٢٥٠-٣٠٠ متر . وهي جزيرة يحيط بها نهر الفرات من جميع الجهات ، يقابل بدايتها الشمالية وادي الشيخ خضر الذي يصب في الثلث الأخير من محلة السدة وأمامه مقبرة المشراع ، ويقابل نهايتها الجنوبية نواعير شريعة بيت الشيخ الواقعة في بداية الثلث الأخير من محلة الخطبة الى الجنوب من وادي الخطبة بمسافة مئة متر. أما من الشرق أو الصوب الجزري فيقابل بدايتها وادي عانة ، ويقابل نهايتها قرية العبدلي مع وادي الحايكة . [٢٦]

وجزيرة القلعة أو ما عرفت قديماً بجزيرة لباد لو توقفنا عند اسمها القديم ومعناه لوجدنا ان احداً لم يستطع التوصل الى المعنى الحقيقي أو الأصل الذي جاء منه الأسم ، غير اننا يمكن ان نشير الى أقدم المعاجم العربية مثل كتاب (الصحاح) للجوهري[٢٧] والذي نجد فيه لفظة (لباد) التي جاءت من أصل (لبد) او(لبدة) والتي لها اكثر من معنى ، فمن معانيها مثلاً (زبرة الأسد) : اي الشعر المتراكب الكثيف الموجود بين كتفيه حتى قيل في المثل (أمنع من لبدة الأسد). فليس من المستبعد هنا إن الأسم أطلق على الجزيرة بسبب ماتميزت به من منعة أو حصانة كبيرة، أو قد تكون التسمية قد جاءت لكونها على الدوام مكتظة بالبساتين الكثيفة ذات الأشجار الباسقة مما يجعلها أشبه بلبدة الأسد من حيث الإكتظاظ.

ومن معاني اللفظة ايضاً (اللبد او البد) هو الشيء المقيم الثابت المستقر الجاثم [٢٨] ،فإذا كانت اللفظة قد جاءت حقاً من المعنى الأخير فأنه بسبب ديمومة الجزيرة وبقائها طوال المواسم الأربعة ،إذ من المعروف ان بعض تلك الجزر كانت تختفي تحت سطح الماء في الشتاء والربيع ولاتظهر الا في موسمي الصيف ثم الخريف عندما تنخفض مناسيب نهرالفرات... ومن المعاني الأخرى لكلمة اللبد هو(الوعاء) الخاص بالطعام أو غيره .

ولكن اسم جزيرة القلعة هو ما أستخدم واطلق عليها وكان أكثر شيوعاً ولاسيما في العقود الأخيرة .

وتتميز هذه الجزيرة بأنها ذات شكل لوزي مع شيء من الإستطالة (كما في الشكل رقم-١ الذي يوضح مخطط جزيرة عانة ومايقابلها)،او يمكننا القول انها على هيئة نصل رمح ينحني قليلاً عند أو قريباً من نهايتها المدببة التي تقع في طرفها الجنوبي ، وإنها على شكل نصف دائرة تقريباً عند جهتها الشمالية المواجهة للتيار. وتبلغ أعلى نقطة ارتفاع لها والذي يقع في وسط الجزيرة فيصل الى نحو ثلاثة عشر متراً ، وهو ارتفاع كبير بالنسبة الى الجزر النهرية الأخرى ليس في منطقة عانة فحسب بل في عموم الجزر الفراتية ،ولا سيما ان أرضها رسوبية غرينية ، ولاشك ان السبب في هذا الارتفاع الكبير هو ان الاستيطان المتواصل فيها بدأ من العصرالآشوري الوسيط في الأقل ونزولاً الى نهاية أو أواخر العصرالعثماني، وربما بسبب هذا الإرتفاع الكبير والحاد بالنسبة الى حافات الجزيرة كان أمر اقتحامها من المغيرين أو الطامعين في خيراتها عبرالعصور المتعاقبة في غاية الصعوبة والتعقيد (وكما مبين في الصورة رقم - ١)التي توضح الربع الأمامي من جزيرة القلعة والتي يتبين مخططها في الشكل رقم -١) .

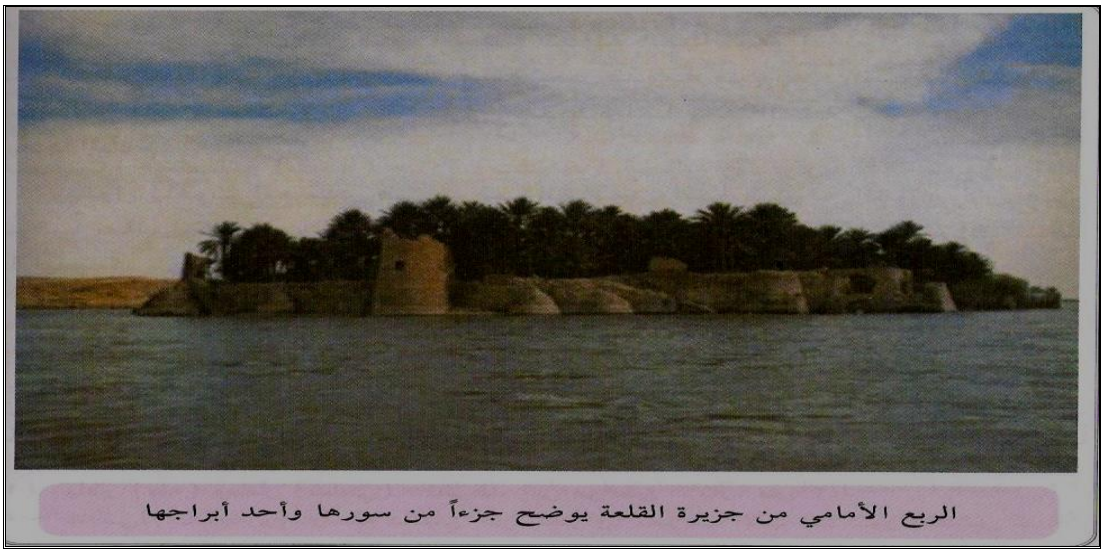

الربع الأمامي من جزيرة القلعة يوضح جزءاً من سورها وأحد أبراجها

(صورة رقم -١-)

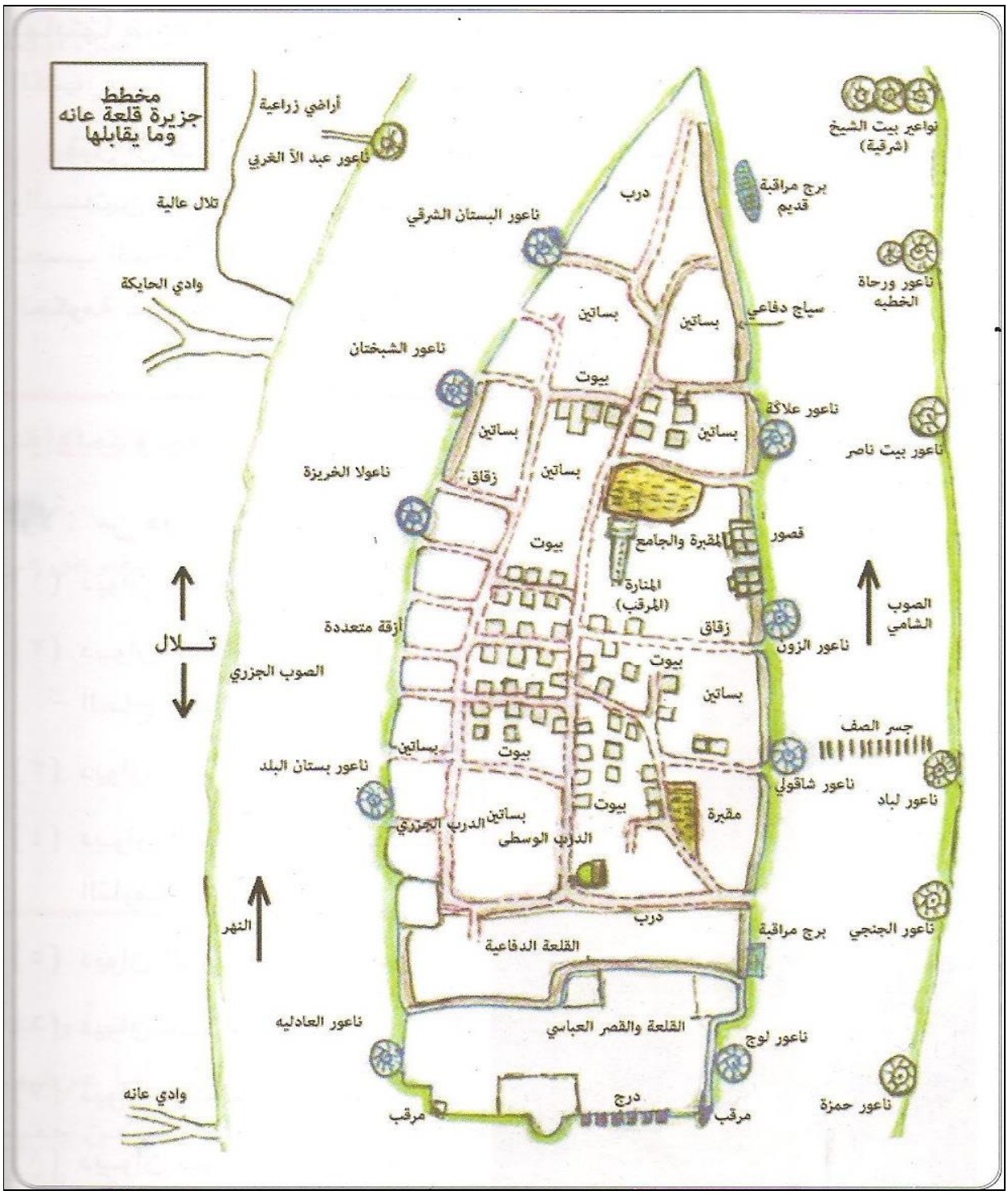

(الشكل رقم -١-) مأخوذ من كتاب "عانة ماكتبوا عنها ومالم يكتبوا"للمؤلف عبد المطلب الراوي

جسور عانة .

كانت جزيرة القلعة ترتبط بالضفة الغربية لنهر الفرات من خلال جسرين أثنين . أولهما جسر حجري كبير(جسر الصف) ، وكانت بداية هذا الجسر من عند منتصف الساحل الغربي للجزيرة تقريباً ليربط الجزيرة بالضفةالغربية من نهر الفرات والتي كانت تعرف بالجهة الشامية .وكان موقع هذا الجسر في الثلث الأمامي من هذه الجزيرة وتحديداً مقابل بناية ناعور شاقولي ، وتقع نهاية الشامية مقابل ناعور بستان جزيرة لباد ، وبستان لباد هذا كبير ويمتد على ضفة الفرات اليمنى لمدينة عانة ومقابل الثلث الوسطي لجزيرة القلعة والتي تحتوي على مختلف الفواكه وأنواع التمور الفاخرة.

وتشير التخمينات الى إن بداية انشائه تعود الى العهد الآشوري الحديث، حينما كانت عانة مركزاً للحكم على مدن الفرات الأوسط والأعلى على عهد الملك الآشوري توكلتي–ننورتا الثاني ،وكانت سوخي مركزاً لإدارة حكام عانة . كما تشير بعض معالم هذا الجسر أنه قد شيد في زمن العباسيين زمن استقرار الأوضاع وسيادة الدولة وعلو شأنها ،وعلى الطراز العباسي للعمارة ، مستندين الى أتخاذ العقود وسيلة لإدامة البناء ، وهذه الطريقة كانت شائعة لدى بناء القناطر والجسور العباسية . ولم تحدد أوتذكر المصادر زمن بنائه وقد يعزى بناؤه احياناً الى زمن العقيليين عندما كانت عانة تحت حكمهم أي الى ماقبل ألف سنة ،وهذا الزمن هو الذي حدد فيه بناء منارة قلعة عانة. ويذكر ان مادة البناء التي استخدمت في بناء الجسر كانت من الكلس(النورة) والحجر ،إذ إن هذه المادة معروفة لدى أبناء المدينة منذ مئات أو آلاف السنين ،حيث استعملت منذ القدم لبناء السدود المائية وبناء النواعير وانشاء الجزر ،وهي لاتختلف في قوتها وتصلبها عن مادة الأسمنت إذا ماغمرت في الماء. (٣٠)

أما الجسر الثاني فأنه يقع على الجهة اليسرى من جزيرة القلعة ليربطها بما يقابلها من بيوت أو ممتلكات الجزيرة. يبدأ هذا الجسر من المكان الذي يقابل الجسر الأول القريب من مبنى ناعورة الجزيرة ، ولم يبق من الجسر إلا ست دعامات وخمسة ممرات حتى غرقه ،وإن سرعة مجرى الماء مابين الجزيرة وصوب الجزيرة يضاف اليها العمق الذي يتمتع به هذا الممرالمائي

أسرع ذلك في إزاحة كثير من عوارض هذا الجسر ودعاماته ولم يترك لهذا الجسر من إثارة إلا دعاماته التي كانت قريبة جداً من شاطئ جزيرة القلعة والبعيدة عن مجرى التيار. وكان هذا الجسر طريقاً لأبناء الجزيرة للعبور الى الشاطئ الآخر الجزري عند مداهمة القلعة من قبل الأعداء ، حيث كانت تمتد على الجانب الآخر(الأيسر) من الفرات مدينة أخرى موازية لمدينة عانة ذكرها الكثير من الرحالة هي مدينة الخليلية التاريخية التابعة لجزيرة قلعة عانة والتي تبعد عنها مسافة ستة كيلومترات .[٣١]

وتجدر بنا الإشارة الى الجزر الأخرى الموجودة ضمن مدينة عانة إضافة الى جزيرة القلعة وهي :جزيرة الحضرة ، جزيرة المقطعات ،جزيرة المجد ، جزيرة بشر، جزيرة الخراب ،جزيرة الشيخ ،جزيرة نصار بالإضافة الى عدد من الطلايع الرملية والطينية التي لها اسماء ومواقع معروفة لدى أهل عانة وسكانها الأصليين من الكبار في السن تحديداً.

ومن آثار جزيرة القلعة في عانة : [٣٢]

أولاً: مدرسة أبتدائية اسمها مدرسة القلعة الإبتدائية التي ظلت مفتوحة الأبواب لغاية نهاية الأربعينيات ١٩٤٨ .

ثانياً: القصر العباسي والذي طريقه طريق وسطي طويل ينصف الجزيرة ،يمتد من مؤخرتها تقريباً ويسير بأتجاه الشمال حتى يلتقي بالدور المحاذية لقلعة الجزيرة .وهذا القصر منشأ على الطراز الإسلامي العباسي ، وأضاف اليه العثمانيون بعض الملاجئ والقاعات والممرات فأصبح مقراً أو مسكناً للحاكم العثماني. ولقد كتب عن هذا القصر العباسي خبير الآثار الدكتور عبد العزيزحميد مابين الصفحات ٢٨٦-٢٨٨ من كتاب مدينة عانة :تاريخها وآثارها عام٢٠٠٨ .

ثالثاً: أبراجها : حيث يوجد برجين مرتفعين ملاصفين لسورها العظيم أكل منه الدهر شيئاً والى مقدمتها ينحني السور بشكل ثلث دائري. وكما مبين في الصورة رقم (١) والتي تم عرضها في صفحات سابقة.

رابعاً: القصور: وفيها آثار لقصرين كبيرين يطلان على الفرات من جانب الجزيرة الأيمن ، ويبدو أنهما بنيا لمسؤولين كبيرين في زمن من الأزمان.

خامساً: المقبرة الأثرية . والتي تقع الى الداخل من سورالقصرالعباسي ،وهذه المقبرة الأثرية القديمة يجاورها مسجد قديم منهدم ،تحيط به أعدادغير قليلة من البيوت التي أندثرت من جراء التنقيب أو من تأثير عوامل خارجية.

سادساً : المنارة [٣٣]. والتي تقع في الثلث الجنوبي الأخير من الجزيرة ،ويقال بأنها بنيت في زمن العقيليين ،ورممت على عهدالملك غازي بحدود عام ١٩٣٨م . هذه المنارة الأثرية التي يعتقد بأنها بنيت مابين ٣٨٧هـ-٤٨٧هـ على يد أمراء عانة من بني عقيل الذين مركز حكمهم الموصل . والمنارة (كما في الصورة رقم-٢) أحاطت بها من مقدمتها ساحة لجامع كبير كان أهل المدينة يصلون فيه أوقاتهم ،وإلى جنبها الآخر مقبرة أثرية قديمةمفصول عنها جزء مخصص لقبور المسلمين ، وجزء آخر ظهر من التنقيب أنه يحتوي على قبور وآثار من العهد الآشوري الحديث في زمن الملك الآشوري ننورتا الثاني (٨٩٩-٨٨٤ق.م.) ،وآثار رومانية وغيرها الكثير.

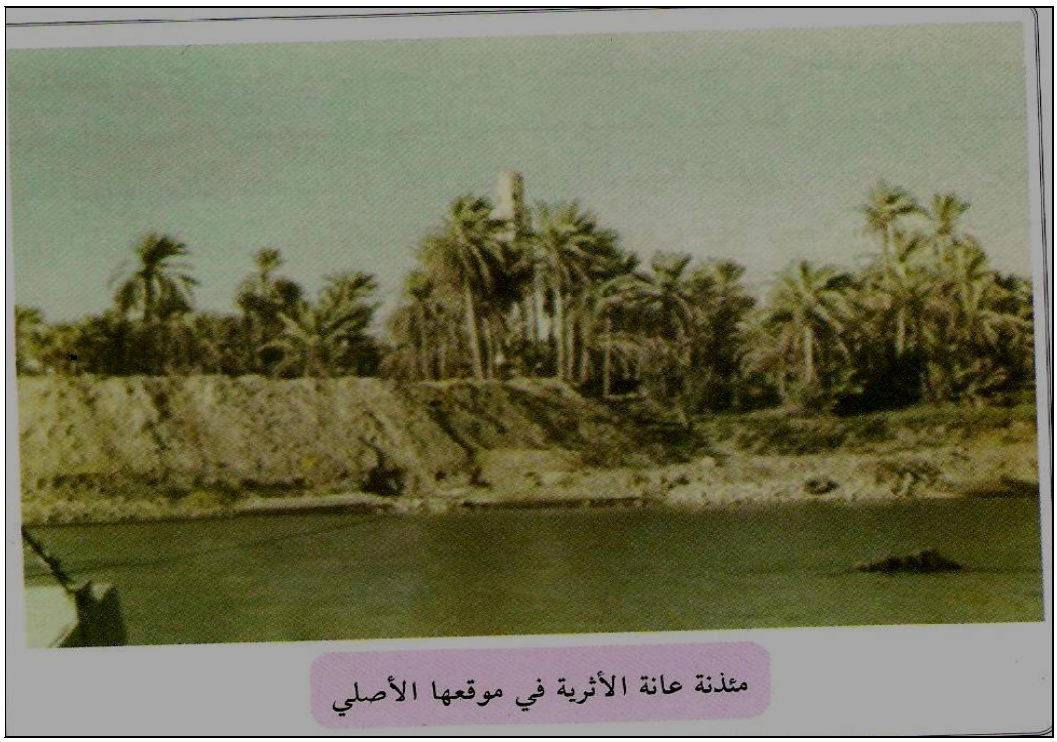
مئذنة عانة الأثرية في موقعها الأصلي

(صورة رقم -٢- مأخوذة من كتاب عانة ماكتبوا عنها ومالم يكتبوا للمؤلف عبد المطلب حامد الراوي)

وكان تصميم هذه المنارة أو كما يعتقد أهالي مدينة عانة بأن هذا البناء هو لبرج قديم من عصور ماقبل الأسلام ،فهذه الجزيرة كانت موجودة في عصور ماقبل الاسلام في الأساس وهذا مايؤكد صحة ادعائهم .وقد استخدمت في العصورالإسلامية كـ(مرقب) أي برج عال للمراقبة يطل على المجريين الشمالي والجنوبي لنهر الفرات ،وكذلك للنظر عند الحاجة من أعلاه الى الأراضي البعيدة والقريبة من الجهتين الشرقية والغربية لملاحظة تحركات القوات المعادية العازمة على مهاجمة مدينة عانة المقامة فوق جزيرة القلعة، ولاسيما ان البساتين والأشجار الباسقة كانت تحيط بها من جميع الاتجاهات سواء كان ذلك من داخل الجزيرة نفسها او على الضفة الغربية لنهر الفرات. كما استخدم هذا المرقب أو المأذنة كموضع عال للتحذير من اقتراب الاعداء.

وفي اواسط العقد الثلاثيني من القرن الماضي أوفدت مديرية الآثار القديمة آنذاك الى عانة بعثة آثارية, كانت باكورة أعمالها صيانة وترميم المباني الأثرية والتي بدأت بمئذنة عانة نفسها ،ونظراً لقلة عدد الموجودين في البعثة فقد اقتصرت اعمال الصيانة الى التركيز على قاعدة المئذنة فقط ، تلاه رفع الأتربة والأنقاض جزئياً من حول القاعدة ،ثم إزالة الأجزاء المتهرئة من الجزء الأسفل منالقاعدة صعوداً الى الأقسام الظاهرة منها حيث استعيض عن التالف من الأحجار بأحجار بدائية جديدة مشابهة تماماً للمتضرر جداً منها ،أما غير التالف من الأحجار فقد تم رفعها أو نزعها من قبل البعثة نفسها فقد اعيدت كما جاء في تقرير البعثة الى أماكنها الأصلية مستعينة في ذلك بملاط جصي جديد.

وفي عام ١٩٦٣م. قام المرحوم الأستاذ فؤاد سفر مفتش التنقيبات العام في مديرية الآثار العامة آنذاك بزيارة تفقدية للآثار الشاخصة في جزيرة القلعة وايفاد بعثة خاصة برئاسة المرحوم كمال عبادة لإجراء الصيانات الضرورية للحفاظ على المئذنة من خطر التداعي والإنهيار ، وقامت الهيئة خلال الأعوام ١٩٦٣ولغاية ١٩٦٤ بأجراء الصيانات الضرورية للمئذنة . وقد تم إزالة ماكان قد تبقى من ترميمات عام ١٩٥٣ ثماجراء عملية الحفر حول المئذنة لإستظهار شكل القاعدة الأصلي ، فتبين لها أنه كان على شكل مربع ذي أوجه مستطيلة تتحول في جزئها العلوي الى مثمن يقوم عليها بدن المئذنة المثمن الشكل . وكما مبين في الصورة رقم – ٣.

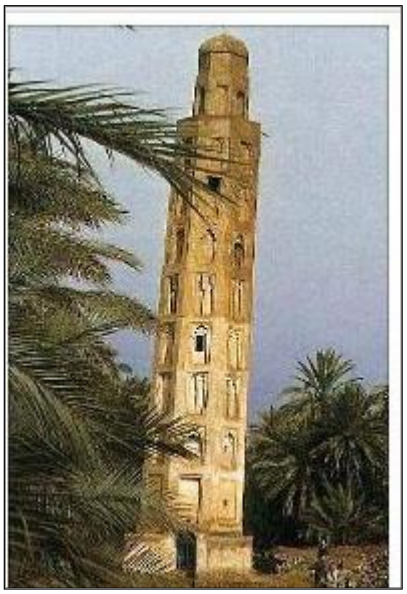

وقامت البعثة بترميم وتقوية الجزء الأسفل من القاعدة الى ارتفاع ٢,١٠م بالمواد البنائية نفسها اي بالحجارة الكلسية غير المهندمة والجص، إلا انه ومع الاسف لم تستخدم البعثة مونة الجص والجير الحي الذي يعرف في العصر العباسي بـ(الصاروج) ويعرف محلياً في العراق بـ(النورة) ، بل استعانت بدلاً من ذلك بالسمنت المقاوم للأملاح ،ثم تم اكساء الواجهات

الخارجية للقاعدة بالجص النقي الأبيض . وظلت المئذنة على حالها تقريباً لحين قطعها ونقلها الى مدينة عانة الجديدة. وتم الاستعانة بخبرات المهندس المعماري السوري الجنسية يوسف ميخائيل جبلي الذي سبق له أن شارك في نقل مئذنة (مسكنة) الواقعة على الفرات داخل الحدود السورية

صورة رقم ٣ والتي تبين منظر منارة او قلعة عانة قبل المشروع

وقضى المشروع بتقطيع المئذنة والتي يبلغ وزنها أكثر من ثمانمائة طن ،وبشكل افقي وعلى هيئة اقراص ثم يتم نقلها بعد التقطيع بعيداً عن موقع الغمر ليعاد تركيبها مجدداً في الموضع الذي يتم الاتفاق عليه موقعاً بديلاً ومكاناً آمناً. وعهد بالاشراف على عملية التقطيع للمئذنة الى د.صباح جاسم الشكرجي الذي قرر ان تقطع المئذنة الى أربعة وعشرين قرصاً اتخذ كل قرص منها رقماً متسلسلاً بدءاً من القاعدة وانتهاءاً بالقمة. وتم أختيار موقع جديد ضمن مدينة عانة الجديدة (الريحانة) ، وعهد بإعادة تركيب المئذنة الى هيئة ترأسها الدكتورعبد الستارالعزاوي وعضوية العديد من الكوادر الهندسية العراقية ،وتكللت عملية التقطيع وإعادة التركيب بالنجاح التام وكان ذلك في عام ١٩٨٥ .

واستمرت هذه المنارة أو هذا البرج أو هذه المئذنة شامخة ومنتصبة لم تصب بأي تصدع أو شدوخ أو تساقط أو اي عارض آخر طيلة مايقارب أكثر من عشرين عاماً ،وكانت ذات دلالة على الأصالة والعراقة والتاريخ العتيد لبلد كان يضم أقدم الحضارات الإنسانية ، إلا وانها وبكل أسف لم تعد قائمة فقد نسفت في ٢٠٠٦/٦/١٨ على أيدي ارهابية ظالمة تحاول بكل ما أوتت من قوة نسف وتدمير حضارة العراق وتاريخه العتيد ، إلا انها وبأذن الله لن تستطيع ذلك فالخيرين من العراقيين سيعيدون بناء ذلك المجد بأيديهم وسواعدهم مرة أخرى انشاء الله.

صورة رقم ٤ وتمثل المئذنة او المنارة بعد ان تم تهديدها بتاريخ ٢٠٠٦/٦/١٨ على أيدي حاقدة

مدينة عانة في المعاصرة

عندما بدأ العمل في أقامة سد حديثة في عام ١٩٧٥ ، تم اختيار ثلاثة مواقع بديلة لإقامة عانة الجديدة واحد منها يقع الى الشرق من عانة القديمة والإثنان الآخران الى الغرب منها .وتم الأتفاق على اختيار موقع المدينة الحالي للمدينة (وكان ذلك عن طريق اجراء اقتراع) والذي يقع على بعد أربعة عشر كيلومتراً الى الشرق من المدينة القديمة في موقع يعرف بـ(الريحانة) نسبة الى قرية صغيرة كانت تشغل ذلك الموقع .

وعهد الى شركة فرنسية متخصصة في تشييد المدن في وضع المخططات وإقامة مدينتي عانة وراوة الجديدتين في وقت واحد وذلك بين سنتي ١٩٨٤-١٩٨٦.

وأما فيما يتعلق بالآثار العمارية الشاخصة المهمة في مدينة عانة والمناطق القريبة منها ،فقد قامتالهيئة العامة للآثار العراقية بتفكيك الجوانب الأكثر أهمية منها مثل المحاريب او العقوداو الأعمدة والدعامات والزخرفة وكذلك الأشرطة الكتابية إذ تم نقلها اما الى المتحف العراقي في بغداد او الى بقية المتاحف الموزعة في المدن العراقية الأخرى وأنجز كل ذلك بين سنتي ١٩٨٥و١٩٨٧م.

وأخيراً وليس آخراً وبالرغم من الانتقال للموقع الجديد ونهاية عصر وزمن جميل محمل بالذكريات والعبر والقصص الجميلة ،وآثارٍ كانت دليلاً على قدم المنطقة وعراقة تأريخها ، مازالت الرحمة لم تنزع من قلوب ابنائها ومازال التواصل والتراحم والشفقة والصداقة والإنسانية تجول مابين المحلات والبيوتات الجديدة وتضمد جراح فراق القديم وتبني من جديد مادمر وهدم وبقوة أكثر وأعمق وأصدق...

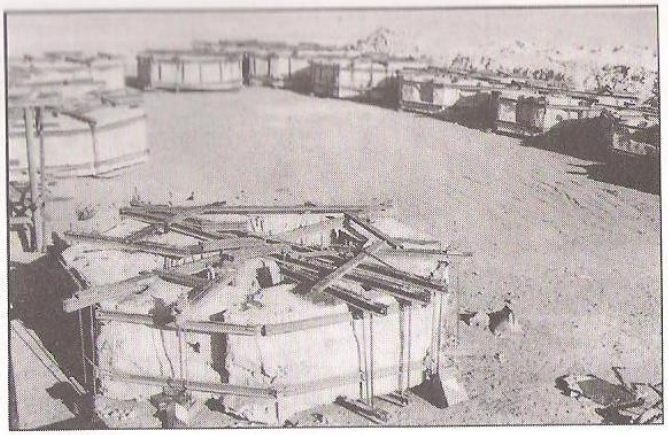

(شكل - ٥٣)
منذنة أو مرقب جزيرة القلعة بعد أن قطعت الى ثماني عشرة قطعة بطريقة فنية ناجحة.
عن : عبد الستار العزاوي

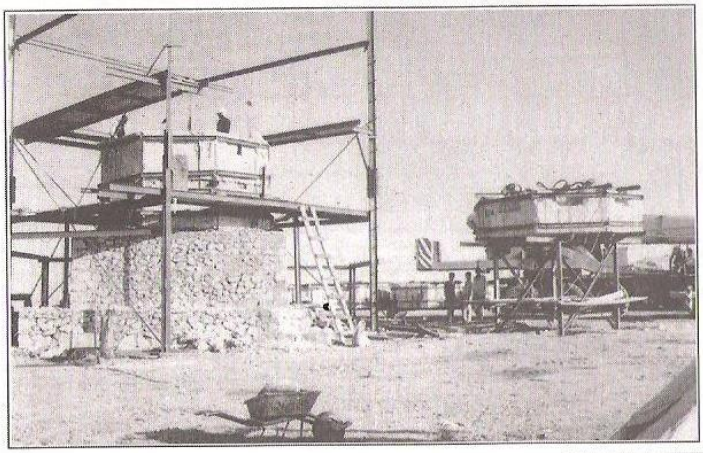

(شكل - ٥٤)
القاعدة التي أقيمت ليعاد تركيب المئذنة أو المرقب فوقها.
عن : عبد الستار العزاوي

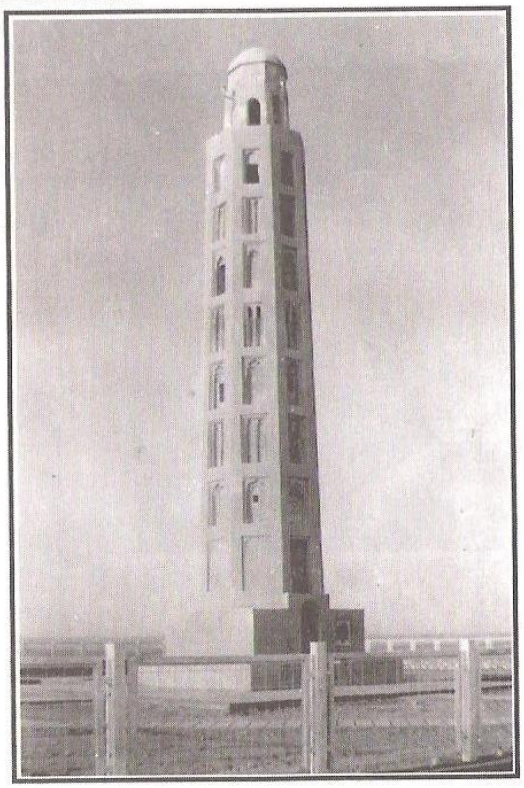

(شكل - ٥٥)
المئذنة أو المرقب بعد إعادة التركيب
قرب مدينة عانة الجديدة

الاستنتاجات :

١- لقد خضعت عانة للبابليين ردحاً من الزمن ، وتحت حكمها وعلى أرضها أقام الآشوريون معسكرهم السابع والعشرين ،وعليها تناحرت جيوش الفرس والروم قبل الإسلام لأهمية موقعها وحصانتها ، وجمالها الخارق ، وكم استعصى عليهم احتلالها أو السيطرة عليها إلا بالحيل أو بطول حصار.

2- جزيرة القلعة هي أحدى جزر مدينة عانة وأقدمها ، تضمنت العديد من الآثار كالأبراج و القصورو المقبرة الأثرية والمنارة الأثرية التي نقلت من موقعها بأياد عراقية و مهندسين عراقيين الى مقر آخر لها في عانة الجديدة إلا انها نسفت بأيد آثمة .

٣- . ان عانة لم تكن فقط ملتقى للحضارات الشهيرة فحسب ،وانما للإديان السماوية ايضاً. فقد انتشرت فيها اليهودية والمسيحية والإسلام ، وهناك آثار للصوامع والأديرة والكنائس وحتى الجوامع قائمة لحد الآن وهذا ماجاء على لسان وكتابات حتى الرحالة الأوربيين.

٤-لعب الرحالة والمستشرقين دوراً كبيراً في ابراز مدينة عانة تحديداً الرحال ألوا موسيل الذي تحدث عن عانة الكثير ووصف وأرخ احداثها وموقعها وارضها وزرعها وبساتينها وآثارها ونشرها في كتابه، ونجد أنه حريٌ بنا نحن العرب ان نؤرخ تأريخنا وحواضرنا بأنفسنا وخصوصاً مايحدث في وقتنا الحاضر االذي يجب ان يؤرخ ويكتب عنه بأيدي ابناء الوطن وليس غيرهم ليكونوا قد حافظوا على الحقيقة ويوصلوها كما هي للأجيال اللاحقة التي تجهل الكثير عن تاريخها.

٥- من خلال صفحات بحثنا هذا نتوجه الى الهيئة العامة للآثار ونرجوها ان تعيد عمليات البحث والتنقيب عن الآثار وخصوصاً في المناطق المحيطة بعانة والمناطق الموجودة حولها ، فهي غنية بتراثها وآثارها وبشهادة اهلها القدامى . كما نتوجه لهم بتكثيف جهودهم في تسجيل الآثار المكتشفة ليتم المحافظة عليها ومحاولة استعادة جزء ولو بسيط مما دمر او فقد وجمع الجديد منه.

٦- الاستفادة من الطلبة في قسم الآثار وخصوصاً من خلال اجراء زيارات الى المناطق الأثرية ومحاولة اللبحث عن الآثار الجديدة ودعم كل الجهود الساعية الى بناء وجمع التراث مرةأخرى ليعاد دور وحضارة العراق من جديد . ومن الله التوفيق.

١. بن منظور، محمد بن مكرم (٦٣٠-٧١١هـ) . معجم لسان العرب. بيروت،دار صادرللطباعة ،٢٠٠٣.

٢. ابن الإعرابي،محمد بن زياد (ت٢٣١هـ) . كتاب النوادر (ج٢) ، تحقيق عزت حسن .دمشق،مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١م-١٣٨١هـ.

٣. الجابري ، محمد عابد . التراث و الحداثة:دراسات ومناقشات (ط٣) ،بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،٢٠٠٦، ص٤٥.

٤. المصدر السابق ...ص ٤٦.

٥. المصدر السابق ... ص ١٠٤.

٦. المصدر السابق... ص ٢٥٧.

٧. الجبوري، عبد الله . لماذا التراث العربي، وحركة بعثه. مجلة التراث العلمي العربي، السنة الأولى،ع٢(١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م) ، بغداد ، جامعة بغداد – مركز أحياء التراث العلمي العربي . ص ٨٣.

٨.بابان،جمال.أصول اسماء المدن والمواقع الجغرافية .ج١.بغداد:مطبعة الأجيال،١٩٨٩. ص٢٠٠.

٩.باقر،طه.من تراثنا اللغوي القديم.بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي.ص.١٧

١٠.موسيل،ألوا. الفرات الأوسط:رحلةوصفية ودراسات تاريخية. ترجمة د. صدقي حمدي وعبد المطلب عبدالرحمن.بغداد:مطبوعات المجمع العلمي العراقي،١٩٩٠.ص ص ٥٦٠-٥٦١.

١١-المصدر السابق...ص.٥٦١

١٢-الأندلسي،عبد الله بن عبد العزيز.معجم ماأستعجم من أسماء البلاد والمواضع. القاهرة،٢،١٩٤٥/٩١٤.

13- Ismiral,B. K. , Roaf,M.D. and Black,J. . Ana in cuniform sources .Sumer Mag. ,vol. 34,1983.p.191.

١٤-باقر،طه و فؤاد سفر. المرشدالى مواطن الآثار والحضارة. المرحلة الأولى. بغداد:١٩٦٦. ص.٢١

١٥- المصدر السابق...ص.٢١

١٦-الراوي ، شيبان ثابت.آشور ناصر بال الثاني. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد،١٩٨٦. ص.٢١

١٧-العاني، عبد العزيز. المدينة المغرقة: دراسة ميدانية فلكلورية لمدينة عانة. بغداد:وزارة الثقافة والاعلام،١٩٨٥. ص.١١

١٨-حميد ،عبد العزيز. مدينة عانة :تأريخها وآثارها .بغداد :الهيئة العامة للآثار،٢٠٠٨. ص.٩٧

19- Grayson, A.K. . Assyrian Royal inscriptions, wiesloaden , vol.2 , 1976. P. 27.

20-Nortthedge ,A. Excavations at Ana. London ,1988,p. 14.

٢١- حميد،عبدالعزيز... مصدر سابق. ص.٨٧

٢٢- موسيل، الوا... مصدر سابق...ص ص ٥٦٠-٥٦١.

٢٣- حميد، عبد العزيز.مصدر سابق... ص ص ١١٥-١١٧.

٢٤- مطلوب ،ناطق صالح. الحياة الإجتماعية في تكريت حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. موسوعة تكريت:بغداد،١٩٩٧. ج٣،ص .٣١٢

٢٥- أبو يوسف، القاضي (يعقوب بن ابراهيم) : الخراج. القاهرة:المطبعة السلفية ،١٣٢٨هـ.ص ص ١٤٦-١٤٧.

٢٦- الراوي، عبد المطلب حامد. عانة ماكتبوا عنها ومالم يكتبوا . بغداد:دار المناهج،٢٠١١.ص ص ١٣٦-١٣٧.

٢٧- الجوهري ،اسماعيل بن حماد. الصحاح . بيروت :دار الكتاب العربي،١٩٨٧.٢/٥٣٣.

٢٨- المصدر السابق...ص٢/.٥٣٣

٢٩-الراوي، عبد المطلب حامد...مصدر سابق...ص ص ١٤١-١٤٢.

٣٠-المصدر السابق...ص ص ١٤٠-١٤٢.

٣١-حميد، عبد العزيز... مصدر سابق...ص ص ٢٠٩-٢١١.

٣٢- الراوي، عبد المطلب. مصدر سابق...ص ص ١٣٤-١٥١.

٣٣-عبادة،كمال منصور. صيانة المواقع الأثرية في عانة. مجلة سومر ،مج. ٢٥ ،١٩٦٩. ص ص ١٣٧-١٣٨.